



## كلمة العدد

ان العبودية الفكرية التي سلّطها الغرب على عقول المسلمين واذهانهم قد غيرت عقلياتهم وذهنياتهم تغييرا جذريا زعزع كيانهم الفكرى و اوشك أن يقضى على وجودهم الحضارى ، والمؤسف أن المسلمين – أو على الاقل اغليبيتهم الغالبة – لم يدركوا مدى خطورة هذه العبودية ، اللهم الاشرذمة قليلة من الناس الذين رأوا حقائق الأشياء كماهى ونظروا الى الامور فى منظورها الحقيقى ، وأنذروا قومهم من الخطر الذى كان يحدق بهم .

وأما الاغلبية الغالبة من اخواننا المسلمين تجاهلوا هذا الاستيلاء الفكرى ورحبوا بالتغلغل الحضارى الذى ترك آثارا كثيرة فى تفكير المسلمين و أنتج نتائج كبيرة على حياتهم الثقافية وأحدث تغييرات جبارة فى عيشتهم الحضارية . وهذه الآثار والنتائج لايعرفها التاريخ الاسلامى ، ولا تألفها الثقافة الاسلامية ، ولا تأنسها الحضارة الاسلامية . وقد راجت بين المسلمين آراء لم يكن الرعيل الاول من المسلمين يعرفها ، وقد انتشرت بينهم أفكار لم يكن للسلف الصالحين بها عهد ، وقد ظهرت بينهم عادات وأعراف لا تتناغم مع المثل الحضارية الاسلامية .

وليس السبب فى وجود هذا الوضع كله أن المسلمين اختاروا كل هذه الاشياء بعد تفكير جاد ودراسة نقدية ، أو تدبروا الآراء والنظريات الغربية وتفكروا فيها وأمعنوا النظر فيها ، ثم وجدوها مفيدة لهم ، ولم يجدوا لها بديلا فى الفكر الاسلامى ، أو امتحنوا هذه الآراء والافكار على محك العقل والمنطق ، فرؤا انها قابلة للقبول فقبلوها ، أو رأوا فى هذه العادات والأعراف فلاحا للمجتمع وصلاحا للبشرية ، فجعلوها أسوة لأنفسهم وقدرة لقومهم .

كلا ، ليس الأمر كذلك ، بل السبب كله يرجع الى ما ذكرناه من الخضوع الفكرى والثقافى والعبودية الحضارية التى يعانى منها المسلمون ، والتى جعلتهم يتهافتون على كل ما انتسب الى الغرب ولونسبة خيالية زائفة ، ويهرعون الى كل ما ورد من البلاد الاوربية والامريكية ، ومن المضحكات المبكيات أننا رأينا غير قليل من الناس أنهم اذا رأوا سلعة شرقية تباع فى الاسواق ولواهاريين ، واذا نظروا الى شئ مصنوع فى بلدهم هم عبسوا وتولّوا أن رأوا امرا كريها ، ولكن اذا رأوا سلعة عليها ختم بلد أوربى هشت لهم روحهم و طابت به نفسهم ، ولو كان هذا الختم مزورا مصطنعا .

لماذا هذا الخضوع والاستسلام ؟ لماذا هذا الخمول والانقياد ؟ لماذا هذا السقوط والصغار ؟ ان من العادات الدنيئة لدى الأمم المستضعفة والشعوب المستذلة والاقوام الساقطة درجتها ومنزلتها امام شعوب العالم انها تجل الامم القوية ، وتعظم الشعوب العزيزة ، وتكبر الاقوام الرفيعة . ومن أهم مظاهر هذا الاجلال والاكبار والتعظيم أنها تقلد ها فى كل شئ ، تقلدها فى حياتها اليومية ، تقلدها فى حياتها

الاجتماعية ، وتقلدها في مدنيته و حضارتها ، فتحذو حذوها في المعيشة والمسكن ، وتتلو تلوها في المأكل والملبس ، وتهتدي بهديها في الرأي والتدبير ، وتقتدى بقدوتها في الفكر والثقافة والتعليم ، وهلم جرا .

أليس من المؤسف المحزن أننارى بين اظهرنا أناسي كثيرا يرون رأى المستعمر ، ويرتدون بزيه الثقافى ، ويتبعون قصده الحضارى ، ويستنون بسنته فى كل ناحية من نواحي حياته ، ويسلكون مسلكه فى كل مجالات الحياة ودروبها ، ولوكان مسلكا وعرا جعجاعا .  
وقد بلغ من اجلال أهل المشرق أهل المغرب أنهم رفعوا مكانة كل من هب ودب من اوربا و أمريكا ، وأجلوا كل من يمت بصلة الى الغرب ، وأعجبوا بكل شويعر وكويتب نشأ فى احدى الدول الاوربية ، سواء استحق ذلك الاعجاب والتقدير والاجلال و رفع المكانة أو لم يستحق - فكل بغاث الغرب يستنسر فى الشرق ، وكل كراع أوربا وامريكا يصير ذراعا فى آسيا وأفريقيا ، وأماهم فلا يعتبرون نسور أهل الشرق الا بغائا ولايرون ذراعنا الاكراعا-  
هذا قدرا عجابنا بأقزام الغرب ، وهذا مدى اجلالنا وتقديرنا لبسطائهم ، ولكم يصدق علينا ماقاله المتنبى فى بعض معاصريه قبل اكثر من الف سنة :

سادات كل اناس من نفو سهم

و سادة المسلمين الأعبد القزم

فماظنك بمدى اعجاب اهل الشرق بعباقره الغرب ، وقدر اجلالهم نوابغ أوربا ، ودرجة تقديرهم لشخصيات اوربا الكبيرة .

فقد بلغت مبلغا من الاعجاب والاحترام والتقدير مبلغا لم يصل اليه عباقرة المسلمين ونوابغ الاسلام - فالشرق المثقف الذى لا يزن للمساوردى و أبى يعلى والفارابى وزنا يعتبر جون ولوك وروسو وامثالهم من المفكرين السياسيين نورا يجب أن يستضيئى به كل سياسى ، والشرق المثقف الذى لم يسمع اسماء الاوزاعى و الشيبانى والسرخسى يظن أن غروشييس واوبنهائيم ولاؤترباخت نجوم لا بد أن يهتدى بهاكل من اراد أن يتعلم شيئا من القانون الدولى ، واخواننا المثقفون الذين لا يعبأون بدور ابى حنيفة والشافعى وابى يوسف فى تدوين الفقه يرون أن آستن و آيور جنك وكيلسون أئمة لا بد أن يأت بهم كل من له صلة بالفقة والقانون ، والذين لا يهتمون بشخصيات الغزالى وابن رشد و الفخر الرازى يعتقدون أن تامس اكيناس وكانت ورسل قدوة لامفر من ان يقتدى بهاكل متفكر و متفلسف .

وقد أكثر بعض اخواننا من الأخذ و القبول من أهل الغرب بدون أى نقد وتمحيص ، ولم يدر هؤلاء الناس أن المكثار دائما كحاطب ليل ، لا يستطيع أن يفرق بين الغث والشمين أو يميز بين الخبيث والطيب ، فأخذوا من مفكريهم بكل رحابة الصدر وسعة الباع ، وتكلموا بكل ماهجست به خواطر أهل الغرب من الآراء الخام والنظريات الزائفة والافكار الهدامة ، فكثر عندهم الرطب واليابس والجيد والردى ، والحسن والقبيح ، وهم لا يدركون الى اى داهية يقودون قومهم وما يكون مصير أمتهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا -

ولقد بلغ السيل الزبى والسيف العظم ، ففرى اخواننا أنهم تركوا التفكير الجاد ، وذهبت عنهم عادة التبصر والتأمل ، وضاعت عنهم تقاليد التفكير والتدبر ، فلا يرون الاشياء بمنظورها الحقيقى ، ولا يأخذون الأمور بعد امتحانها على محك الشريعة والعقل والمنطق ، بل يكفى لهم قبولا لأمر واجلالا لشيء . واكبارا لعادة وتعظيما لنظام أنه مستورد من الغرب .

وان تعجب فعجب معاملة بعض الناس التى يعاملون بها ما عندهم من التقاليد والتراث ، فهم من جانب يتهافتون على كل ماورد من الغرب بدون أى سبب معقول بل بمجرد أنه منسوب الى الغرب والى جانب آخر يهجرون تقاليدهم وعاداتهم وتراثهم ومثلهم ، ولا يستعدون لأخذها وقبولها الا اذا أقنعوا بأدلة مدحضة وبراهين قاطعة وحجج مقنعة أن عاداتهم الفلانية تضمن لهم السعادة والصلاح ، وتراثهم الفلانى يعترف به أهل الغرب ، أليس هذا من المضحكات المبكيات أننا لانعترف بشروتنا الا اذا اعترف به اعداء الاسلام والمسلمين ؟

ان الشعوب الغيرة ذات المروءة والحيوية لا تطلب سببا أو دليلا للتمسك بتقاليدها المعروفة وتراثها التليد ، بل تعتبر تقاليدها القديمة وتراثها التليد وما ضيها المجيد امتدادا لحياتها الاجتماعية ، اللهم الا اذا كانت بعض التقاليد قابلة للترك من أجل معارضتها لدينها ونظام حياتها أو لمصلحتها الاجتماعية - وأما اذا ضاعت الغيرة وفات الحياء واضمحلت الحيوية فيصبح الأمر كما قالت العرب قديما : اذا فاتك الحياء فافعل ماشئت .

محمود أحمد غازى